الفصل الرابع والخمسون

الأماكن النزهة التى يرتادها أهل القاهرة العام منها والخاص

ـ بلدة البساتين:

بلدة عامرة تقع جنوب القاهرة على بعد ساعتين، وهى تحت إدارة نقباء الأشراف وبها حديقة قريبة من ساحل النيل كأنها الجنة. يتوسط هذه الحديقة قصر شامخ كأنه قصر الخورنق، وفى وسط هذا القصر حوض لطيف. إنه موضع نزه جميل به عدة قاعات علوية ومطبخ وسواق. إنه موضع تنشرح الصدور لرؤيته.

ـ متنزّه قدم النبى:

من خيرات إبراهيم باشا الدفتردار، وهو أثر جد عظيم ينتشر به القصور والقاعات، وبه مطبخ وتكية عظيمة الاتساع وزوايا وسواق. وهذا كله من إنشاء إبراهيم باشا وقد ذكرنا تواريخ كل هذا سلفا.

ـ مخازن يوسف (أنبار يوسف):

مكان عجيب غريب

ـ متنزه أم القياس: سبق وصفه.

ـ متنزه الروضة:

فى جزيرة أم القياس كذلك، وهى حديقة انتقلت ملكيتها من يد حاكم إلى حاكم آخر وبداخلها حوض عظيم ويتوسط هذه الجزيرة قصر جميل شامخ يعبر إليه على جسر وبه قاعات متصلة جديرة بالمشاهدة.

ـ مصاد جبل الهرمين:

يسميه الناس «جبل الأهرام» ويسميه عوامهم «جبال فرعون»، أما فى اللغة القبطية فتسمى هذه الأهرام «أهرام برابى» وجاء فى تاريخ «ابن جلال» أن أول من بنى هذه الأهرام «برابى بن درمشيل بن مخويل بن خنوخ بن قاين» ولذا تسمى «بأهرام برابى» وتقع هذه الأهرام فى الجانب الغربى من النيل وهى جبلان كبيران وجبل صغير، وعلى مقربة منها يصاد الغزال والثور الوحشى والذئب والأرانب وما أشبه.

وسوف نبين فيما بعد من بنى هذا الطلسم ولأى سبب بناه.

obeikandl.com

ـ مراعى أمير آخور:

تقع فى منطقة الجيزة عند حدود امبابة. إنها واد ذو زرع ترعى فيه خيول أهالى القاهرة ووزيرها. إنها موضع مخضوضر ينشرح له صدر من يراه. ولكن ما فيها من زرع من غرس الإنسان. فبذور العشب المسمى «بالبرسيم» إذا بذرت فى ليلة نمت فى صبيحة اليوم التالى فبلغت فى الطول إصبعين وفى اليوم الثالث يمكن للدواب أن ترعاها وجميع خيول القاهرة ترعى هذا العشب والذى يعرف فى بلاد الترك بـ «يونجه»، وتضرب طائفة الجند وأمير آخور خيامهم فى هذه البقعة لرعى خيولهم ثلاثة أشهر بتمامها، وهناك ينعمون كذلك بالراحة والمتعة.

إنه سهل فيه مروج ورياض وأمير آخور الباشا حاكم مطلق عليه بتفويض من الباشا ومهمته تتبع اللصوص والضرب على أيديهم وإعمال السيف فيهم.

ولأن هذه المنطقة تدخل فى حدود أولاد خبير يأتى منهم كل ليلة ألف من فرسان البدو ـ بخيولهم لحراسة جياد الباشا وغيرها من جياد طائفة الجند.

ويتعين على الأمير آخور أن يقيم للباشا سماطا عظيما، وأن يهدى إليه ثلاثة أكياس وثلاثة من الطواشية وثلاثة جياد أحدها ذا سرج مرصع بالجواهر، فيخلع الباشا عليه خلعة من فرو السمور. كما يقدم الأمير آخور جوادا إلى كل من كتخدا الباشا والخزينة دار ويوزع الهدايا كذلك على سائر رجال الباشا. ولأن عوائد وضرائب أمير آخور القاهرة والكتخدا معا ينص القانون على تعيين « أمير أمراء» الشام من بين أمراء آخور القاهرة.

ويتحصل لأمير آخور مائتا كيس من بيع العشب بالإضافة إلى دخل آخر من مصادر أخرى يقدر بمائتى كيس كذلك.

ويُهدى الباشا ألفا من الجياد فى العام يلزم بأن يمنح الأميرآخور قماشا من صوف على كل جواد من هذه الجياد الألفين.

وقياسا على ذلك فإنه بقدر ما تكون الأموال المتحصلة لأمير آخور وبقدر ما يكون شخصًا ذا وقار فإنه يتقاسم الربح مع الكتخدا.

متنزه قصر أبى العين الظاهر بيبرس

تكية بكتاشية على ضفة النيل وهى متنزه طيب النسيم وقد سبق أن وصفناها ضمن وصفنا للتكايا إلا أنه عندما شيد إبراهيم باشا قصرا شامخًا فى أحد أركان هذه الحديقة أرخت له بهذا البيت:

يا أولـيا نظـمت هذا الـتاريـخ وقلت داعـيا
لـيـبـق هـذا الـقـصـر عـالـيـا
سنة ١٠٨٢

ويتصل بهـذا القصر قصر آخر شـيده عبد الرحمن باشـا وأرخ له زكى خليل أفندى فقال:

قـال تـاريخـه زكـى الـداعـى بـالبـركـات
هـذا القـصـر ما يـسـمـى بقـصـر الجنـات
سنـة ١٠٨٨

وقال آخر:

قـال فـى تـاريـخ هـذا الـقـصـر الـعـظـيـم
يا له من قصـر فريد تنشرح له الصدور فـى الصميم
سنة ١٠٨٨

وعلى ضفـة النيل أربعون موضـعا لأشجار الجميز فـى ظلالها مصاطب وكـل منها موضع ظليل يشرح الصدور.

ـ متنزه طـوب آتان (أى مطلق المدفـع) وحديقة العجـم، وحديقة الفرنجـة، وحديقة رمضان بك فى طريق بولاق، وحديقة محمد چلبى صاحب العيار، وحديقة حسن بك.

وإضافة إلـى تلك الحدائق سـالفة الذكر هـناك ١٧٠ حديقة أخـرى مفتوحة لـلعوام والخواص وكأن كلا منها حديقة إرم ذات العماد.

ـ متنزه «جميز العبد»:

على ضفتى الطرف الشمالى للخليج الذى يخترق مدينة القاهرة بقعة مكسوة بأشجار الجميز، يتسع ظل كـل منها لألف كبش. وكل منها موضع ينـشرح له الصدر وكل من

obeikandl.com

هـذه الأشـجـار تمد أغصانها على النيل وظلالها لا يجعل لقيظ الشمس أى تأثير وظلال هـذه الأشـجـار ملتقـى لإخـوان الصفاء والأحـبة ذوى الوفاء، يجـتمعون فيه لـلراحة والاستجمام.

ـ متنزه قصر السبتية ببولاق:

متنزه به كثيـر من القاعات والظلات والحجرات الخاصة بالـباشاوات وبعض الأعيان وإذا ما قدم الباشاوات من الأسـتانة إلى القاهرة بحرًا أو أقيم موكـب أم القياس احتفالا بقطع النيل فإن هذه المواكب كانت تخرج من قصر السبتية هذا.

وفى أحد أطراف سـقف هذا القصر تاريخ الـسلطان ( )[1] مشيده وهو: (إنه من بناء االمعز الكريم العالى السيد محمد البدرى بن أبى البقا ولد المعز المرحوم سيد يحيى الجيعانى سنة ٦٨٧).

ـ حديقة رضوان بك:

تسمى بحديقة الرضوانية وهى حديقة كجنة رضوان، وليس لها من نظير فى مصر.

ـ متنزه التورنجية:

يقع هذا المتنزه خارج قنطرة الليمون على ضفة خليج الشيخ البكرى.

ـ متنزه الطويخانه:

إنها زاوية لا وجود لمثلها فى القاهرة ولا فى المدائـن بناها وزير السلطان قايتباى عند خروج سيده إلى الحـج وعودته. ولهذه الزاوية قبـة منقوشة تناطح الجـوزاء وترتفع عن الأرض بمقدار اثـنتى عشـرة درجة من الحجر وأبـواب هذه القبـة وجدرانها مـن الرخام الطبيعى والأحجار الصماقية الملونة وأحـجار اليشم والحرقانى واليرقانى وأحجار أخرى. وكأنها الأحجار التى فى قبة الصخرة بالقدس.

والخـط الكوفـى الذى بداخلها وأعمال النحت والزخرفة الرائعة على الرخام والتى لا يخلو منها موضع فى القبة يعجز عنها مانى وحسان وبهزاد وارزنك.

ومن الحق قولنا إن ثمة أساتذة عظام عاشوا فيما مضى من الأيام الخوالى.

(١) بياض فى الأصل.

obeikandi.com

وعلى يسرة هذه القبة العالية مرعى وكأنه الجنة وعلى يمنتها قاعات ودور للضيافة. توزع الأطعمة على الغادى والرائح.

جملة القول أنها موضع نزه تنشرح له الصدور.

ـ متنزه البشبكية:

إنها ساحة للفروسية والرماية بالسهام، وفيها عدة قاعات ومطابخ وأحواض.

وفى الجانب الجنوبى منها فى الجبال على بعد ساعة.

ـ مصاد عين موسى:

إنها العين الواقعة فى جبل بجاميم والتى كانت موضع عبادة موسى ـ عليه السلام ـ إلا أن ماءها أميل إلى الملوحة وليس ماءً عذبًا كماء النيل. ويزور البدو هذا الموضع قاطبة. كما يأتى إليه بعض جند مصر بأسلحتهم وخيولهم لصيد الغزلان واللصوص من البدو.

ـ متنزه عين شمس:

ذكر آنفا وكان يتصل بمدينة عين شمس مدينة تسمى «الفرما» وكان لها قلاعا مبنية باللبن من ثلاثة طوابق، تمتد إلى البئر التى حفرها المسيح ـ عليه السلام ـ فى المطرية. ولقد تخربت هذه المدينة بأكملها ولم يبق منها إلا مسلة من الحجر.

وعن سبب خراب هذه المدينة يحدثنا مؤرخو العرب فيقولون: إنه عندما قدم سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ للقاء ابنه يوسف الصديق نزل ضيفا فى عين شمس ومدينة لفرما على سبعين من أشرافها الأثرياء لم يكرم وفادته أحد منهم، لذا دعا يعقوب الله على هذه المدينة فلحق بها الخراب.

وفى النهاية التقى سيدنا يعقوب بيوسف الصديق فى مدينة الفيوم بعد فراق دام ستة عشر عاما فارتد إليه بصره. وأوصى يوسف أن ينقل جثمانه بعد وفاته ليدفن فى جبل حبرون بجبل الخليل.

ـ متنزه قصر الغورية:

شيده السلطان الغورى وهو يبعد عن النيل. ووقت الفيضان يصبح هذا القصر وسط الماء. وأسفل هذا القصر قاعة عظيمة وفيه عدة غرف ولكن ليست له آثار أخرى.

ولكن على مقربة من هذا القصر حدائق كحدائق الجنة بها قبة عالية ذات زخارف مثل قبة الطوبخانه إلا أنها لجامع، إلا أنها تشبه قبة الطوبخانة تمام الشبه.

ـ متنزه ومزار «بئر المطرية»:

إنه مكان تعبد المسيح ـ عليه السلام ـ فى حدائق فى الجانب الشمالى من القاهرة على بعد ساعتين منها. وعندما كانت مصر فى حوزة اليونان كان فى هذه البقعة الكثير من الأبنية العظيمة. ولم يبق منها الآن إلا قاعة وزاوية. وفيها حوض من نزل فيه وكان به علة تم له الشفاء منها.

وجاء فى التواريخ وتواريخ اليونان أنه عندما هاجرت السيدة مريم مع ابنها المسيح عيسى من مدينة نابلس هبطت هذا المكان فطاب لها مستقرا ومقاما.

ويزعم النصارى أن المسيح عيسى وأمه السيدة مريم هما اللذان حفرا هذه البئر ليغتسلا وأنهما أقاما هذا الحوض. وهذا القول صحيح لا يتجافى عن الصواب، إذ إن جميع آبار القاهرة ماؤها أميل إلى الملوحة إلا أن ماء هذه البئر عذب بفضل معجزة المسيح ـ عليه السلام ـ.

وتسحب الثيران الماء العذب من هذ البئر بالدواليب لرى الحدائق المحيطة به من كل جانب. وكانت أشجار البلسم والبَلَسَان[1] تملأ هذه الحدائق وكانت هذه الأشجار من غرس يد المسيح ـ عليه السلام ـ، ولم يكن لها من وجود فى بلد آخر. وكانت يستخرج منها الزيوت ويحتفظ بها الملوك فى خزائنهم تبركا.

وإذا ما تسمم أحد وتناول من هذا الزيت مقدار قيراط نجى من الموت. وإذا لدغت أحد عقرب أو أفعى أو حية ودهن موضع اللدغ بزيت البلسان هذا أو لعقه نجى كذلك من الموت المحقق. وإذا دهن بهذا الزيت موضع ألم سكن هذا الألم.

---

(١) البَلْسَمُ: جنس شجر من القرنيات الفراشية، يسيل من فروعها وسوقها إذا جُرِحتْ عُصَارَةٌ راتنجيّة، تستعمل فى الطب.

والبَلَسَانُ: شَجَرٌ له زهر أبيض صغير كهيئة العناقيد يستخرج من بعض أنواعه عطر.

وهذا الزيت معروف لدى النصارى فى القرى، وإذا لم يتناول منه النصرانى أو لم يدهن به جسمه لا يعد نصرانيا حقا. ويأتى النصارى من كل فج عميق إلى المطرية لزيارة هذه البئر والاغتسال فى حوضها، وهم يقطفون أوراق شجرة مريم ويقدمها البعض إلى البعض هدية فى مختلف الولايات، كما يحتفظون بهذه الأوراق بين صفحات الكتب.

إلا أنى لم أشاهد بها أشجار البلسم والبلسان تلك فسألت سدنتها فأجابونى بقولهم إنها جفت وتيبست منذ أن دخلت مصر فى حوزة العثمانيين.

ولكن أشجار البلسان منتشرة على طرق الكعبة الآن ويستخرج منها الأهالى زيوتها ويبيعونها فى جرار للحجيج.

ـ فوائد ماء بئر المطرية:

عندما يفيض النيل وتجرى مياهه خضراء اللون، ثم يحمر ماؤه عندئذ يمتنع الباشاوات والذواقة عن شرب ماء النيل. وسبب ذلك أن الماء الأخضر الذى ركد فى الترع والخلجان منذ العام الماضى يظهر فيه السم الزعاف وعندما يأتى فيضان النيل يدفع هذه المياه من الخلجان فتمر من القاهرة.

والتى إذا ما شرب أحد منها ابتلى بالمرض، لذا يمتنع الباشاوات والأعيان من شرب ماء النيل هذا طيلة شهر، ويشربون من بئر المطرية ذات الماء الزلال. إنها بقعة طيبة النسيم.

ـ متنزه البئر المعظمة:

حفرها موسى ـ عليه السلام ـ، وإن كان بعض الأطباء يصفون ماء بئر المطرية بعذوبته وفوائده إلا أننى لم أشرب منها.

ـ متنزه بركة الحج:

بقعة يقيم فيها حجيج مصر ثلاثة أيام وثلاث ليال عند خروجهم للحج يتزودون منها بمئات الآلاف من القرب المملوءة بمياه النيل. إنها خيرات عظيمة عجيبة، فقد شقوا بركة الحج هذه من النيل فكأنها بحيرة عظيمة. وهى تبعد عن القاهرة بمقدار أربع ساعات. وبعض وزراء مصر وأعيانها يسافرون عبر هذا الطريق ومنه يعودون إليها.

obeikandi.com

ـ متنزه قلعة سبيل علام:

يتناوب عليها أحد أمراء مصر فى خمسمائة من جنوده مرة فى الشهر لحراسة المترددين عليها. إنها مصاد وميدان للرماية وميدان للتحطيب، أما للبدو فهى مكان للسطو على الناس. وقد جردوا من يسمى «پيريار ولى» من ملابسه وجعلوه مثل بهلوان تكية (كولشنجيلر) أى تكية المضحكين.

إلا أنه سهل طيب النسيم وشهرته فى القاهرة باسم «سهل سبيل علام»،

فبينما كان السلطان سليم فى طريقه إلى القاهرة دارت رحى الحرب السادسة بينه وبين السلطان طومانباى فى سهل سبيل علام هذا. وقد استشهد فى هذه المعركة سنان باشا الطواشى الصدر الأعظم، كما استشهد سبعة آلاف من جند العثمانيين وثلاثة وعشرون ألفا من جند المصريين.

والآن ما يسمونه مقابر الشهداء فى سبيل علام مزار يزوره عوام الناس وخواصهم وثمة غرف وقاعات عدة وسواق فى قلعة سبيل علام يسكنها من يتولى الحراسة عليها من أمراء الجند. وفى جانبها الشمالى حدائق ومروج. وبها كذلك جامع ذو قبة ومنارة تركية الطراز وسبيل ومصاطب. والجامع بنى بتمامه من الحجر ويصعد إليه بسلم من ست درجات.

وعلى يسرة محاربه تاريخ مكتوب بخط جلى هو:

أقام هذا الجامع الشريف
وهو مثل كتاب كارنامى كله حسنات
مير أكرم حسن بك
رفعه الله رافع الدرجات
وهذا التاريخ لهذا الجامع المنور
جامع الحسنات باهر النور

سنة ١٠٦٣

إنه جامع مزين يشتمل على ستة أعمدة ولكن لا حرم له.

ـ متنزه العادلية:

واد يقع بين القاهرة وسبيل علام، يبعد ساعتين عن القاهرة، كان فى الزمان الخالى مستقرا لقبائل «العادلية»، أقام به طومانباى جوسقا كان يعقد فيه الديوان لإقامة العدل والميزان بين الناس، لذا سمى هذا الوادى بـ «العادلية».

إنها بقعة طيبة النسيم تنشرح بها الصدور. إذا ما زارها عليل وجد الشفاء.

سبق الحديث فى عدة مواضع عن المعارك التى دارت رحاها بين السلطان طومانباى والسلطان سليم والتى على أثرها قبض سليم على طومانباى وصلبه على باب زويلة فوضع بذلك حدا للفتن والاضطرابات فى مصر. ثم أنزل سليم طومانباى من المشنقة وصلى عليه صلاة الجنازة وأمر بدفنه فى ضريحه بالعادلية.

ولما كان طومانباى سلطانا من أهل التقوى والصلاح، حافظا لكلام الله لم يصادر السلطان سليم أوقافه بل زين ضريحه بالأنوار وكان يزوره فى كل مرة يأتى فيها إلى العادلية.

وطومانباى مدفون فى تابوت من الرخام تحت قبة عالية ترتفع إلى عنان السماء وعلى الجوانب الأربعة لتابوته الرخامى نقشت آية الكرسى وتاريخ هو:

(تحريرا فى سنة ستة وتسعمائة).

وبوفاة طومانباى دالت دولة الشراكسة. ولقد كان سلطانا صاحب خيرات له الكثير من المؤسسات الخيرية، فالخان والزاوية والتكية والمبرة والسبيلان والساقية والمطبخ والغرف والقاعات المتعددة الخاصة بالباشاوات والقصور والأبهاء التى تشبه القلاع وما حولها من دور للضيافة كلها من خيراته رحمة الله عليه.

وهناك العديد من المتنزهات فى مختلف أنحاء القاهرة، إلا أن ما ذكرته هو ما زرته وشاهدته بعينى، لا ما سمعت عنه واجترأت على وصفه والله المستعان. إلا أن ألطف وأجمل هذه المتنزهات كان تكية «أثر قدم النبى».